

أحمد شوقي شاعر الإسلام

زهرا سعيدى*

تاريخ الوصول: ٩٦/٦/١٠

ليلا سعيدى**

تاريخ القبول: ٩٦/١١/١٥

الملخص

يتجاوب شوقي مع المعاني الاسلامية السامية التي تجيش بها قلوب المسلمين نحو خاتم المرسلين فلا تفوته مناسبة إلا يذكر فيها سيرته(ص) مشيدا بفضائله الكريمة وشمائله الرفيعة، متضرعا ملتصبا شفاعته(ص) مستشفيا به لتفريج كرب الأمة الاسلامية وموجهها لها لتتخذ منه القدوة والاسوة حتى تستعيد مجدها و تسترجعها فيها المجيد. فإن شعره المسجد للعقيدة الاسلامية ومعرفة الدقيقة للدين الاسلامي يلقي لنا الضوء على حقيقة عقيدة الشاعر، ونحن إذا دققنا النظر في شعر أحمد شوقي لا نجد فيه شيئاً يشير إلى مروقة بل ولاء تام للإسلام والمسلمين؛ و له في أشعاره الاسلامية ثلاث قصائد فى مدح النبى هي «النهج البردة» و«الهمزة النبوية» وأما الثالثة فهي «ذكرى المولد» تبين اعتزاز شوقي الشديد بإسلامه فى حياته وأيضاً فى شعره، وهذه القصائد خير بيان على مدى وعى شوقي بدور الاسلام فى حياته، ونحن بصدد على دراستها التحليلية فى هذه المقالة.

الكلمات الدلالية: احمد شوقي، حب الرسول، العقيدة، المدايح النبوية.

المقدمة

قد ظهرت النزعة الدينية واضحة في شعر مدرسة الإحياء أو من يسمون بالمدرسة الكلاسيكية الجديدة/البارودي وشوقي وحافظ وغيرهم، وأخذت العناصر الإسلامية الجديدة تتداخل في البناء الفني مع الموروث القديم في قصائد هؤلاء الشعراء وتبدأ عملية مزاجية فنية بارعة بين هذين التيارين؛ أما شوقي فقد تفوق على أقرانه من الشعراء في شعره الإسلامي وأصبح هذا التيار واضحاً في الصورة الشعرية، وأصبحت هذه القيم الدينية في قداستها ومعطياتها تشكل جانباً من وعيه الشعري ووجد في التيار الإسلامي معجماً ثرياً يستمد منه مادته التعبيرية والتصويرية، بحيث أن هذا التيار الإسلامي الذي ظهر في شعر شوقي بهذه الوفرة لم يظهر عند غيره من شعراء عصره.

لقد أوقف شوقي جانباً كبيراً من نشاطه الشعري على التأليف في حبّ الرسول، وبلغ بذلك درجة راقية أوصلته إلى مدح النبي ووصفه بشيء له وجود حسي في أحيين كثيرة، ثم أضفى عليه من خياله ما جعل من شعره يرسم لنا منهج الرسول الكريم العملي للحياة المتجلى في دعوته إلى الحق وإيثاره وجهاده وكرمه.

وعلى شدة تعلقه بالقصر كان يريد الانطلاق من قيود القصر وصاحبه والتحليق في آفاق أوسع وأرحب فكانت المدائح النبوية سمة بارزة من سمات شعره والتي أكسبه شهرة واسعة في حبه للرسول الكريم وهيامه به.

إننا لا نبغي بالتماس حقايق المجتمع الإسلامي في شعر شوقي مجرد معرفته الثقافية وإنما نريد التأكيد على التزام شوقي بالقضايا الدينية في شعره.

أحمد شوقي؛ عقيدته وتدينه

ما من شك في أن للعقيدة الدينية مكانتها الخاصة في شعر أحمد شوقي. فقد اهتم الشاعر في منهجه الأدبي بالجانب العقائدي اهتماماً كبيراً هيمن على العديد من نتاجه الشعري؛ ويشكل هذا الإهتمام اتجاهاً واضحاً في مسيرة الشاعر، حيث دأب شوقي على توظيف أدبه في خدمة الإسلام وقيمه ونشر الثقافة الإسلامية ومبادئ الرسالة المحمدية؛ ومن المعروف على التزام شوقي إنه التزام ديني قبل أن يكون التزاماً أدبياً، لأنه كان كما قال أحمد الحوفي: «حفيًا بدينه منذ شبابه وما زال به حفيًا إلى نهاية حياته، لأن شعره

الدينى ساير حياته كلها، كما عرف عن شوقى فى وسطه العائلى بتفاؤله بكل ما يمت بصلة إلى الدين» (الحوفى، ١٩٧٢: ٨).

وعلى هذا السبيل فى اعتزاز شوقى الشديد بإسلامه فى حياته، سار به أيضا فى شعره ولعل قصائده الكثيرة والمتنوعة التى خلفها مثل «الهمزة النبوية» و«نهج البردة» و«ذكرى المولد» و«إلى عرفات» و«مرحبا بالهلال» و«عيد الدهر» و«ليله القدر»، خير بيان على مدى وعى شوقى بدور الإسلام فى حياته، فكان إلزاما عليه تسخير فكره وقلمه للفخر بالإسلام تاريخا وحضارة.

الأ أن فى مقابل تغنى / أحمد شوقى بحبه لعقيدته فى شعره، بدت على سلوكات الشاعر انحرافات دنيوية اتخذ منها بعض الدارسين شاهدا على عريضة شوقى، وفى ذلك الشأن يقول عبد المجيد الحر: «وشوقى لم يكن متدينا، بل كان يحب الظهور بمظهر المتدين. ثم يستطرد فى كلامه ضاريا لنا مثلا عن ذلك قائلا: كما حدث له حين هرب من ركب الخديوى و هو يصطحبه معه إلى الحج» (الحر، ١٩٩٢م: ١٤٦)؛ وقد شايح هذا الاتجاه أيضا نازك سابا يارد الذى يذكر لنا مدى اتصال شوقى باللهو والخمر وإدمانه عليها حتى الثمالة، بحيث كان معتادا شرب الكأسين وهو يقرأ أو ينظم شعرا، بل إن ولعه بالخمر هو الذى أملى عليه تسميه بيته بالقاهرة بكرمة / ابن هانى (يارد، ١٩٦٨م: ٢٩).

وقد أيد هذا الاتجاه / أحمد محفوظ مسهبا فى موضوع تعاطيه للخمر حيث يقول: «عرفته ولم يكن يشرب من الخمر إلا كأسين انقلابه إلى داره فى الساعة الثانية من الصباح (...) وكان لا يعفى نفسه من الشراب حتى لو أفرغ ما فى بطنه (...) وفى اليقين القاطع أن شوقى لم يختار اسم كرمة / ابن هانى المحضور على قطعه من رخام مسودة إلى باب داره فى الجيزة إلا بولعه بالخمر ذلك لغرام / أبى نواس بها واستهتاره فيها (محفوظ، لا تا: ٣٠-٣٣).

ويعارض شوقى ضيف فكرة حسين هيكل وعبد اللطيف شرارة بل ويعدهما مبالغين فى حق شوقى، لأن الخصال الماجنة لا تكاد تظهر عند شوقى إلا ظهورا باهتا ضئيلا وكان حياة شوقى الشخصية وخصاله اللاهية تبعثرت فى خضم الحياة الخارجية التى عاشقها فى القصر وعلى صفحات الصحف. كما يزيد حلمى مرزوق هذه الفكرة معللا رفضه القول بازواجية شخصية شوقى: لأن الأزواج هادم للشخصية ومرض يلم بها (...) وأصح من هذا

التعليل القائلون باختلاف حالات النفس وتداولها بين التناقض من حب وبغض وحزن وسرور وهى - بعد - صادقة فى جميع ذلك، وهذا هو الشاهد المعلوم فى كل الناس (مرزوق، ١٩٨١: ١٣٦).

أما حقيقة تلك الازدواجية فى نظرنا، أن أحمد شوقى بشاعريته المرهفة وبصيرته الثاقبة عرف كيف يسجل فى شعره ذاته وظروف بيئته وأحوال الناس من حوله وأنه الرجل الذى لم يخف يوماً ما شخصيته، فإن كان شوقى - كما يقول زكى مبارك - رجل دنيا لا يعرض عن أطايب العيش (فهيمى، ١٩٨٨: ٢٥١).

وأخيراً فإن عامل الالتزام الدينى ظاهر بجلاء فى أكثر من محطة من سيرة الرجل وهو التزام تابع من عقيدته الدينية أولاً ومن إيمانه العميق بهويته الإسلامية ثانياً مما جعله يصرف همته عن الدنيا، لأن المجد الفعلى الذى كان يصبو إليه والعز الحقيقى الذى كان يتعشقه أجلّ وأرفع من أن ينشغل عنهما بما هو دونهما وهو: النجاة من العقاب والفوز بالآخرة.

شوقى وشعره الاسلامى

إنّ شعر أحمد شوقى الاسلامى صورة للحياة التى عاشها، وصورة من فكره واحساسه ودمه السارى فى جسده، إن تقرأ شعره الدينى تشعر أنّك ذات متميزة لا تكاد تخفى حتى تظهر مرة ثانية ومرد هذه الخطوة إنّما يعود فى الحقيقة إلى مدى تمسك الشاعر بالدين الاسلامى القويم، وتفانيه فى الدفاع عنه فى عصر كثرت فيه التحديات التى واجهت المنطقة الاسلامية آنذاك؛ وفى ظل هذه الظروف، توالى قصائد شوقى الدينية وانطلقت قريحته مصورة المستجدات من الحداث وشتى المناسبات الدينية لأنّ القصائد الشاعر كان حفياً بدينه منذ شبابه، وما زال به حفياً إلى نهاية حياته لأنّ شعره الدينى ساير حياته كلّها (الحوفى، ١٩٦٧: ٦).

ومن ثم أخذ شعر شوقى الاسلامى طريقه إلى السمو والتألق، الذى لم يكن ليبلغه لولا ما ألزم به نفسه من انتهاج طريق واضح ينبع من عقيدة واضحة وصولاً إلى هدف سام ونبيل؛ وهذا هو شأو كل من يطمح إلى النبوغ الانسانى. فإذا كان الأدب مفرغاً من العقيدة خالياً من الايمان الصادق بها هبط وهوى بصاحبه ولهذا كما ذكر أبو حاقّة لا بد للإلتزام أن

يكون مرتبطا بالعقيدة منبثقا من شدة الايمان بها صادرا فى جميع أشكاله وأحواله عن ايدولوجية معينة يدين بها الفكر الملتزم(ابو حاقا، ١٩٧٩: ١٤).

دراسة تحليلية فى المدائح النبوية

لقد تهيأت لأحمد شوقى كلّ الجوانب الثقافية والدينية والسياسية التى جعلته يتبوأ مكانة كبيرة فى سبيل تحقيق الأمنى والطموحات العظام التى كان يرنو لتحقيقها، ولعل انشغاله بالمناسبات الوطنية وبأوجه الحياة وبأوجه الحياة السياسية فى الامة الاسلامية، لم ينسيه أيضا أن يهتم بالعديد من الأعمال الفنية والشعرية ذات الصيت الواسع، حيث رفض أن يظل متفرجا، والشعراء يدلون بدلائلهم فى الدفاع عن الحق واعلان الولاء تجاه النبى(ص) بالاضافة إلى أن شوقى على شدة تعلقه بالقصر، إلا أنه كان يريد الانطلاق من قيود القصر وصاحبه والتحليق فى آفاق أوسع وأرحب، فكانت المدائح النبوية سمة بارزة من سمات شعره والتى أكسبه شهرة واسعة فى حبه للرسول الكريم(ص) وهيامه به(ضيف، لا تا: ١١٢).

تحركت شاعرية أحمد شوقى فى المديح بعد أن عنى بقراءة السيرة النبوية ومعرفة دقائق أخبار الرسول(ص) وجوامع سيرته العطرة، حيث أفرغ طاغته وظف فنه فى مدح النبى(ص) توظيفا صريحا، لأنه رأى فيه هاديا ومحرضا وواعظا أمته. وقد كان من ثمار مدائحه القصائد التالية.

الف. نهج البردة

أحمد شوقى يتجه إلى الرسول بمديحه ويذكر المسلمين بجهاده، ثم يدعو أن يكون عوننا على تحقيق أمل المسلمين؛ وناحية الدعاء هذه واضحة أشد الوضوح تلك الفترة من حياته.

ففى «نهج البردة» يمدح الرسول ويذكر كيف تمكن من النهوض بأمة جاهلة تضرب الفوضى أصابعها فيها، فاستطاع أن يحيى «أجيالا من الرمم» ويشير إلى جهاده فى سبيل سؤدد الإسلام، ثم يدعو الله أن يقلل المسلمين من عثرتهم ويشفع بالرسول عند الله من ذلك(فهيمى، ١٩٨٨: ١٧٠-١٧٤).

الشاعر البوصيري من شعراء المديح النبوي المتأخر الذي عارضه/أحمد شوقي في قصيدة «نهج البردة» إذ كان البوصيري يشيد بالرسول على أساس سيرته، ولم يعتمد الشاعر على عملية النظم المجرد وإنما أضاف شيئاً من التلوين الفني جعلت لأبياته تأثيراً أقوى، وقد تأثر بها شوقي.

تعتبر «البردة» تطوراً للمدائح النبوية بما امتازت به من عدّ شمائل النبي (ص)، فإذا نظرنا إلى مطلعها وجدناه يبدأ بالغزل على عادة العرب، يقول:

أَمَّنْ تَذَكَّرِ جِيرَانِ بِنْدِي سَلَمٍ
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مَقْلَةٍ بَدِيمِ

وعلى طريقة البوصيري افتتح شوقي قصيدته نهج البردة بالنسيب وأحاديث الهوى وذكرى الصبا ما يقول شوقي:

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ، بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ
رَمَى الْقِضَاءَ بَعَيْنِي جَوْذُرَ أَسَدَا
مَنْ الْمَوَائِسُ بَاناً بِالرَّبِيِّ وَقِنَاً
السَّافِرَاتُ كَأَمْثَالِ الْبِدُورِ ضُحَى

أَحَلَّ سَفَكَ دِمَاءً فِي الْأَشْهَرِ الْحُرْمِ
يَا سَاكِنَ الْقَاعِ، أَدْرِكْ سَاكِنَ الْأَجْمِ
الْلَاعِبَاتُ بَرُوحِي، السَّافِحَاتُ دَمِي؟
يُغْرِنُ شَمْسَ الضُّحَى بِالْحَلِيِّ وَالْعَصَمِ

(شوقي، ١٩٩٥: ١٢١/١-١٢٢)

يترك شوقي النسيب فجأة ويتحدث عن النفس والدنيا، فيرى لدنيا تبرز الحسن جذاباً أسراً بينما هي تخفي في طياته كل سوء وشر، فعلى النفس أن تعتصم بالتقوى لتتخلص بها من خداع الدنيا وابتسامتها الصفراء كما يتجنب المرء سموم الأفعى بالتخلص من أنيابها؛ ويلتفت إلى نفسه مرتاعاً إذ يرى بياض لمتته وسواء آثامه، لكنه يأمل في عفو الله لا تضيق رحمته بذنوب البشر.

فيقول:

يَا نَفْسُ، دُنْيَاكَ تُحْفِي كُلَّ مُبْكِيَةٍ
فُضِّي بِتَقْوَاكِ فَاهَاً كَلَّمَا ضَحِكْتَ
يَا وَبِلْتَاهُ لِنَفْسِي! رَاعِهَا وَدَهَا
إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ، لِي أَمَلِ

وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا حُسْنٌ مُبْتَسَمِ
كَمَا يُفَضُّ أَدَى الرِّقْشَاءِ بِالثَّرَمِ
مُسَوَّدَةَ الصُّحُفِ فِي مُبَيَّضَةِ اللَّمَمِ
فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرِ مُعْتَصِمِ

(شوقي، ١٩٩٥: ١٢٥/١)

ويخاطب شوقي الدنيا خطاب إنسان مجرب لها، إذ يقول:

هَامَتْ عَلَى أَثَرِ اللَّذَاتِ تَطْلُبُهَا وَالنَّفْسُ أَنْ يَدْعُهَا دَاعِيَ الصَّبَاتِهِمْ
(شوقي، ١٩٩٥: ١٢٦/١)

وبذلك يعرف الانسان ذا نفس ضعيفة كلما تنادى بها الدنيا ولذاتها تجيب دعواها
وتذهب من وراءها، ثم يأت شوقي بالحكمة على طريقة البوصيري، يقول:

وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعِ وَخِيمِ
تَطْغَى إِذَا مَكَّنْتَ مِنْ لَذَّةٍ وَهَوَى طَغَى الْجِيَادِ إِذَا غَضَّتْ عَلَى الشُّكْمِ
(المصدر نفسه: ١٢٦/١)

ينبّه شوقي بأنّ نفس الانسان ذات وجهين متضادين: الخير والشر، فهي إن استطاعت
طغت. يقول شوقي ضيف في معنى هذين البيتين أن النفس من جبلتها الطغيان.
أو قل الاسراف في الهوى واللذة إن مكّنها صاحبها من اللذة والهوى وطغيانها في
ذلك طغيان، كالجواد لا يعصمها الشكيمة فهي تعضّ عليها وتعالج التلمص منها لتهميم
على وجهها كما تريد لا كما يريد لها صاحبها.
ثم يأتي العنصر المهم بعد الغزل والحكمة وهو مدح الرسول(ص) فيقول شوقي في
ذلك:

مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَرَحْمَتُهُ وَبُعْيَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ وَ مِنْ نَسَمِ
وَصَاحِبُ الْحَوْضِ يَوْمَ الرَّسْلِ سَائِلُهُ مَتَى الْوَرُودُ؟ وَجَبْرِيلُ الْأَمِينُ ظَمِي
سَنَانُوهُ وَ سَنَاهُ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ فَالْجِرْمُ فِي فَلَكِ وَالضَّوْءُ فِي عِلْمِ
قَدْ أَخْطَأَ النُّجْمَ مَا زَالَتْ أَبْوْتُهُ مِنْ سُودِدٍ بَادَخَ فِي مَظْهَرِ سَنِمْ
(شوقي، ١٩٩٥: ١ / ١٢٨ - ١٢٩)

ذكر شوقي الرسول(ص) كما ذكره بوصيري بالخلق والخلق الكريم وأشار إلى علو
مقامه ومكانته بالنسبة لسائر الأنبياء والملائكة أجمعين. ثم أشار إلى استمرار رفعتة وضيائه
وجوده مادام الكون قائماً كما لمّح إلى المستوى العالي الذي نالته أمته بسبب العلاقة
الدينية والإيمانية الموجودة بينهم وبينه.

ثم يواصل شوقي مدحه للرسول قائلاً:

فَاقَ الْبَدُورَ، وَفَاقَ الْأَنْبِيَاءَ، فَكَمْ بِالْخُلُقِ وَالْخَلْقِ مِنْ حَسَنِ وَمِنْ عَظِيمِ
(شوقي، ١٩٩٥: ١ / ١٣١)

معارضاً بذلك قول البوصيري:

فاق البنيين في خَلْقٍ وفي خلقٍ ولم يدانوه في علمٍ وفي كرمٍ
(بوصيري، ١٩٩٥: ١٨٠)

هذا رغم أن شوقي يرفض معارضة البوصيري بقوله:

اللهُ يشهدُ أنني لا أعارضُهُ من ذا يعارضُ صوبَ العارضِ العَرمِ؟
(شوقي، ١٩٩٥: ١٣٥ / ١)

يشير شوقي خلال مدحه الرسول الاعظم(ص) إلى هجرة الرسول إلى المدينة وما حدث طول الطريق من اختفائه في الغار ونسج العنكبوت على الغار واعتشاش الحمامة عند مدخل الغار وسلامته و سلامة صاحبه من جور الكافرين. يقول ذلك كله في هذه الأبيات:

سَلِ عِصْبَةَ الشَّرْكِ حَوْلَ الغَارِ سائِمةً لولا مطاردة المختارِ لم تُسمِ
هل أبصرا الأثر الوضَاءَ، أم سمعوا همسَ التسابيحِ والقرآنِ من أمم؟
وهل تمثلَ نسجُ العنكبوتِ لهم كالغابِ والحائمتِ الرُّعْبُ كالرَّخَمِ؟
(شوقي، ١٩٩٥: ١٣٤-١٣٥ / ١)

ثم نرى في أبيات أخرى من القصيدة أن شوقي أثبت أن معجزة الرسول الأكرم محمد(ص) مستمرة لكل الأجيال فهي معجزة معنوية انسانية أنت أحييت أجيالاً، ويؤكد سمو هذه المعجزة للرسول(ص) بأسلوبه الحكيم الذي جاء به والجهل موت حيث قال:

أخوكَ عيسى دَعَا ميتاً، فقام له وأنت أحييتَ أجيالاً من الرَّمَمِ
والجهلُ موتٌ، فان أُوتيتَ مُعْجِزة فابعث من الجَهْلِ، أو فابعث من الرِّجَمِ
(شوقي، ١٩٩٥: ١٣٧ / ١)

إلى هنا نجد شوقي يحاكي البوصيري في برده ولا يكاد يحيد عنه ومن هنا نراه يبدأ في الاستقلال، فتظهر شخصيته ويكتسب شعره حياة وقوة. يبدأ شوقي حديثه عن الجهاد، بتمهيد يدفع فيه اتهام بعض أصحاب الديانات الاخرى للدين الاسلامي بأنه لم ينتشر إلا بسفك الدماء فيقول إن الاسلام لم يستعمل السيف إلا بعد أن يئس من الدعوة بالحكمة(فهمي، لا تا: ١٨٨). فشوقي حينما يتحدث عن قضية الفتح الاسلامي يثبت أنه دين تسامح وليس دين قوة، فالرسل لم يبعثوا لقتل الناس والاسلام دين حق وليس دين

سيف ودين منطق واقتناع. فهو يأخذ طابع التوعية الذهنية وهذا ردّ من شوقي على من إتهم الإسلام بأنه دين سيف وحرب. وقد بين شوقي أن أصل الفتح بالقلم وأن استعمال السيف في الإسلام لم يكن إلّا مع الجهاد فهو واجب، وجعل شوقي السيف رمزاً للقوة المادية. أما القلم فهو رمز للقوة المعنوية وهذه مقابلة أبرزت تكامل هذين العنصرين. في ذلك يقول شوقي:

قالوا غَزَوْتَ ورُسِلُ اللهُ مَا بَعَثُوا
لِقَتْلِ نَفْسٍ وَلَا جَاؤُوا لِسَفْكِ دَمٍ
جهلٌ وتضليلٌ أحلامٍ، سفسطةٌ
فَتَحَّتْ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الْفَتْحِ بِالْقَلَمِ
(شوقي، ١٩٩٥: ١٣٨/١-١٣٧)

ثم يذكر بعد ذلك استبسال الرسول وصحبه في الدفاع عن دين الله ابتغاء مرضاته:
ترمي بأسدٍ ويرمى الله بالرجمِ
مهما دُعيتَ إلى الهيجاءِ قُمتَ لها
(شوقي، ١٩٩٥: ١٤٠/١-١٤١)

وينفرد شوقي كذلك بحديث قيم عن الشريعة الإسلامية وعن مركزها الذي تشع منه، ألا وهو التوحيد، ويذكر كيف كانت الشريعة الإسلامية هي النور الساطع وسط تلك الرقعة الشاسعة التي سيطر عليها المسلمون وكيف رفرف العدل والعلم والعمران، حتى فاقت بغداد زمن العباسيين كل ما عرضه الدنيا عن مدينة روما وأثينا والفرس والمصريين. أشرنا سابقاً أن شوقي في قصيدته «نهج البردة» عارض البوصيري شاعر «البردة» وإلى جانب اشتراك شوقي مع البوصيري في الموضوعات مع الاختلاف في طريقة الصياغة، فإن شوقي يقتضى أثر البوصيري وغيره من القدماء بعدة أمور، منها المقاطع والصور والموسيقى والوزن والقافية والعبارات والتراكيب والمقابلات؛ وذلك من باب اطالة النفس في القصيدة من ناحية ومن ناحية أخرى لتعظيم الشعر بهذا الموروث وأساليبه لأن الموروث يكسب القصائد جلالة القدم خاصة إذا كان من الأسماء القديمة ولكن شوقي لا يخضع في اقتباساته للترتيب.

وقد أخذ شوقي بعض معاني الشاعر البوصيري وتصرف فيها وجعلتها توافق أبياته بحيث لا نشعر بأنها معارضة فتبدو كأنها من مكونات أبياته الشعرية إذ يقول شوقي:
بلا عدادٍ وما طوّقت من نِعَمٍ
وضاعفَ القُربُ ما قُلِّدتَ من مَنَنِ
(شوقي، ١٩٩٥: ١٣٤/١)

ويقول البوصيري:

وَجَلَّ مَقْدَارُ مَا وَلِيَتْ مِنْ رُتَبٍ وَعَزَّ ادْرَاكُ مَا أُولِيَتْ مِنْ نَعَمٍ
(البوصيري، ١٩٩٥: ١٩١)

وإلى جانب تصرفه في المعاني يتصرف شوقي ببعض الصور فيأخذ بعض عناصر الصورة
ويتصرف فيها مثل ذلك قوله:

الحاملاتُ لواءَ الحُسْنِ مُخْتَلِفًا اشكألهُ وهو فردٌ غيرُ منقسمٍ
(شوقي، ١٩٩٥: ١٢٣/١)

ويقول البوصيري:

مُنَزَّةٌ عَنْ شَرِيكِ فِي مُحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مَنْقَسِمٍ
(البوصيري، ١٩٩٥: ١٨١)

الصورة مشتركة بين الشاعرين مع اختلاف أن البوصيري وصف بها الرسول وشوقي وصف بها النساء؛ وشوقي ينفي عن نفسه بعض المواضع بأنه عارض الامام البوصيري شيخ المدائح النبوية وجعل شوقي نفسه تابعاً لصاحب البردة واعترف بالضعف أمام عبقرية البوصيري. والملاحظ على شوقي أنه حرص على تسمية قصيدته «نهج البردة» لتخلف بهذه التسمية عن «بردة» البوصيري كأنما رأى أن هذا القدر من الابانة لا يستقل بالكشف من قصده، فهو لذلك ينوعه ويضيف إليه، أو كأنما رأى أنه لا يريد أن يكشف عن قصده منذ اللحظة الاولى، فهو يجعله في اسم القصيدة ليكون أول ما يعلم الناس عنها من شيء ومن حق شوقي أن ينفي عن نفسه ما يشاء وأن يتخذ لهذا النفي من أساليب البيان ما يشاء، كما أن له أن تكثير من هذه الأساليب وأن ينوع فيها ويعدد مواضعها؛ والواقع أن «نهج البردة» الشوقية تتفق مع «البردة» البوصيرية في الموضوع وفي الوزن والقافية بل في طابع الاسلوب كلتاهما في مدح الرسول وكلتاهما من وزن البسيط وكلتاهما نصطنع البديل ما وحدت اليه سبيلاً. عبد الكريم، ١٩٨٧: ١٣٧-١٤٠).

ب. الهمزة النبوية

أما «الهمزية النبوية» فنلاحظ أنها قصيدة من قصائد المديح النبوية. فالبوصيري له همزية وشوقي كذلك، والملاحظ أن البوصيري وشوقي يتفقان في الأغراض؛ والاتفاق هنا

هو وحدة الموضوع كما لا يخفى، ولكن شوقي يختلف عن البوصيرى بمثل ما اختلف عنه فى «نهج البردة» إذ يختصّ دونه بحديث مستفيض عن الاشادة بخصائص الاسلام ونظم حكمه ومنهجه فى سبيل الاصلاح.

يمدح شوقي فى هذه القصيدة النبى الاكرم ويشيد بصفاته وأخلاقه الكريمة ويذكر كيف استطاع هو والمستضعفون الذين اتبعوا أن ينسفوا الضلال. ثم ينوب عن المسلمين فى التوسل به إلى الله لتحقيق وحدة المسلمين وتبنيهم من غفلتهم (فهى، لا تا: ١٧٥). يبدأ شوقي القصيدة بالإخبار عن ولادة النبى الاكرم حيث استعار له لفظ «المهدى» فقال:

وُلد الهدى؛ فالكائناتُ ضياءٌ
وفمُ الزمانِ تبسّمٌ وثناءٌ
(شوقي، ١٩٩٥: ١ / ٨١)

وكما نلاحظ أنه أخبر عما حدث إثر ولادة النبى محمد(ص) فى الكون من امتلاء بالنور والفرح ومن تبشير الروح والملائكة الناس بولادته وغير ذلك من خير الأحداث ثم اشار بمنزلة النبى محمد(ص) بين بقية الأنبياء قائلاً:

نُظِمَتْ أَسْمَى الرُّسْلِ فِهَى صَحِيفَةٌ
فِى اللُّوحِ، وَاسْمُ مُحَمَّدٍ طُغْرَاءُ
(شوقي، ١٩٩٥: ١ / ٨١)

وأراد بذلك أن يعلو بالنبى(ص) أعلى الدرجات بين بقية الرسل ويقول إن اسم النبى الكريم أبرز أسماء الرسل وأسمائها.

ثم واصل شوقي فى مدح النبى الاعظم(ص) ولكن لم يقصد بذاك المدح التعبير عن حبه نحو الرسول فقط بل كان له هدف أبعد مدى من ذلك. فهو يصور لنا صفات الرسول تلك التى كانت له أكبر عون على تحقيق دعوته، والتى مكنته من أن يحول أمة جاهلة متفرقة إلى دولة اسلامية عزيزة الجانب يصورها لنا حتى تكون مثلاً أعلى يقتدى به المسلمون فى حاضرهم؛ ويتخذ من حياة الرسول ما يذكر المسلمين بدينهم السماح وماضيهم المجيد. فالرسول كان يعرض عما يخوض فيه الشباب من الطيش ويذود عن الحق ويصل الرحم؛ ويعرف بالصدق والأمانة فيطلقون عليه الأمين؛ وإذا أصاب رزقاً جاد على الناس بما أصاب وإذا قضى هذا الحكيم، لم يغضب إلا فى سبيل الحق، لم يغضب عن حقد ولا عن بغضاء وإذا قضى عدل وإذا نبى كان خير زوج فى عشرته وإذا صاحب

وفى؛ وقد أوجز القرآن كل ذلك فى قوله تعالى للرسول: ﴿وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ ثم هو بعد هذا كله وسيم المحيا فصيح اللسان، يأسر القلب والعقل جميعاً. يرسم الشاعر /حمد شوقى/ مناخى الأقدمين فى المديح، توكؤاً على الصورة الحسيّة فى إشارته إلى القيمة العليّة والشيمة الخلقية فى نبى الله. يقول شوقى و قد أطلق اسم الهدى على الرسول (س) إذلم يسبقه أحد من الشعراء لهذا الاسم:

بِكَ يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَامَتْ سَمْحَةٌ
بِالْحَقِّ مِنْ مَلِيلِ الْهُدَى غَرَاءُ
(شوقى، ١٩٩٥: ١ / ٨٧-٨٨)

أشار شوقى فى البيت الأول إلى إقامه دولة الاسلام التى كانت فى أمرة إلى سنوات أغرّ أمة رأت بها الدنيا، ثم يقول أن حكم الاسلام ساوى بين الناس فلم يأخذ بطبقيّة وألقاب، حتى «لا فضل لعربى على أعجمى إلّا بالتقوى» وفى النهاية يؤكّد على أن الاسلام دينٌ سهلٌ تدار الامور فيه على أساس الشورى وعلى مبنى تأدية الحقوق إلى أهلها. أشرنا أن للبوصيرى كذلك همزية فبالبحث والتنقيب والمقارنة بين هاتين الهمزتين البوصيرية والشوقية نجد أنه بينما تقارب الشعاران فى تناول دعوة الاسلام حين بدت غريبه واهية القوى، ثم مضت عزيزة مرهوبة الجناح، استبد خصومها بغطسة الكثرة وغرر العدة واستعصم دعائها بركن الحق وبأس العزم، فسقطت تحت أقدامهم جبروت الباطل ومضى جند «الله» أغره فى موكب النضر، عن تلك المعانى أفصح الشعاران، *فالبوصيرى* يعرض فى أناة صوراً بديعة هادئة يقول فيها:

وَتَحَدَّى فَارْتَابَ كُلُّ مُرِيبٍ
أَوْ يَبْقَى مَعَ السَّيُولِ الْغَشَاءُ
(البوصيرى، ١٩٩٥: ٥٤)

اعتبر شوقى الحق عرض الله الذى يدافع ويحمى عنه، فبما أن الحق كان مع محمد وأنصاره فانتصروا رغم عددهم القليل وضعفهم إزاء الكفار الكثيرين الأقوياء. كذلك يتقارب الشعاران فى استشفاء الرسول والتوسل إليه، *فالبوصيرى* مليل جداً (عدد أبياته أكثر من مائة) لكن الأقسام على الرسول يذهب منها بأربعة وخمسين يقسم عليه بما آتاه من العلم وبعض ما أيده به من معجزات، ثم نراه يفزع من ذنوبه ويقر بها ويلتمس التدارك بالعناية الإلهية فيقول:

يَا رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا
ذَهَلْتَ عَن أَبْنَائِهَا الرَّحْمَاءُ
يَا شَفِيعًا بِالْمُذْنِبِينَ إِذَا أَشْفَقَ
مِن خَوْفِ ذَنْبِهِ الْبُرَّاءُ
(البوصيري، ١٩٩٥: ١٠٢)

أما شوقي فإنه يتشفع بالدعاء لقومه، فهم ضعاف متفرقون في ظلّ اتهام المستشرقين للمسلمين بالتواكل والضعف، فظلموا الشريعة بتخلفهم عن حضارة مشت سلفاً في أضوائها: أدعوك عن قومي الضّعاف لأزمة أدري رسول الله أن نفوسهم متفلكون، فما تضمّ نفوسهم رقدوا، وعرّهم نعيم باطل

فِي مِثْلِهَا يُلْقَى عَلَيْكَ رَجَاءُ
رَكِبَتْ هَوَالِهَا وَالْقُلُوبَ هَوَاءُ؟
ثِقَّةٌ وَ لِجَمْعِ الْقُلُوبِ صَفَاءُ
وَنَعِيمٌ قَوْمٍ فِي الْقِيُودِ بِلَاءُ
(شوقي، ١٩٩٥: ١ / ٩٢-٩٣)

وواضح عن هذا التقابل أن بين الشعارين من البعد ما بين الايثار والاثارة من فارق وحسبي في التعليق عليهما ما أبداه الاستاذ علي النجدي ناصف من أن شوقي بحكم مواهبه ورسوخ ملكة الشعر عنده يجعل من نفسه لساناً لقومه، يصف للرسول الكريم أداءهم ويسأل لهم الطلب والشفاء، فهو جماعي زعيم، واسع النظرة، مشترك الفضل، مؤمن بقوة الترابط في الأمة الواحدة وتأثر أحادها بما تتأثر به جملتها وإن اختلفوا في مبلغ هذا التأثير ومداه.

أما البوصيري فكما رأيت من الأثرة والفردية، يبغى الخير لنفسه ويخصها به وحدها كأنه لا يفكر إلا فيها ولا يعمل إلا لها ولا يريد أن يكون لها فيما تشتهى شريك مع أن حال المسلمين لعهدده كانت أكثر سوءاً، وأشد فساداً منها لعهد شوقي، فالفتن قائمة، والحروب متداركة، والاضطراب شامل والفوضى تكاد تغشى كل مكان (النجدي ناصف، ١٩٦٤: ١٤٥).

ويختتم الشاعران قصيدتهما بما ينتظر أن يكون ختاماً لأمثالهما من الصلاة والتسليم على رسول الله، فيقول البوصيري:

وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ
لِتَحِيَا بِذِكْرِكَ الْإِمْلَاءُ
(البوصيري، ١٩٩٥: ١٤٣)

ويقول شوقي:

خيرُ الوسائل، مَنْ يقع مِنْهم على سببِ إِيك فحسبِ الزهراء
(شوقي، ١٩٩٥: ١ / ٩٣)
يصلّى شوقى فى فهذه الأبيات على الرسول ويعتبر آل النبى وأهل بيته، خير وسطاء
لدخول الجنة ثم يعتبر توسّله بالسيدة فاطمة الزهراء بنت النبى الكريم(ص) كافياً له
لدخول الجنة والنعيم الالهى.

ج. ذكرى المولد

قال أحمد شوقى فى ذكرى المولد النبوى الشريف زهداً وتكفيراً ونصحاً لنبى قومه،
مسترحماً النبى للمنحرفين منهم عن جادة الرحمن، إنه يمدح فى هذه القصيدة «نبى
البر» ويذكر المسلمين بتعاليم الرسول، وكيف نبّتها إلى طريق المجد وهو الإقدام. ثم
يسأل الله أن يزيل الضرّ عن المسلمين ويتوسّل إلى الله برسوله، أن يحقق هذا الأمل.
هذه القصيدة تعتبر من أحسن ما نظم فى هذا المجال، إذ لم ينظمها معارضته أو
محاكاة مثل «نهج البردة» و«الهمزية» ولذلك نراها تفضّلها شأنها وفناً وبدت أدل منهما
على شخصية الشاعر وأشبه به وأحقّ بالانتساب إليه والقصيدة طويلة، أبياتها واحد
وسبعون، متعددة الأغراض وأغراضها هى: (١) النسيب (٢) وصف الدنيا (٣) الحكمة (٤) مدح
الرسول والتوسل به؛ والذى يهمننا فى مجال بحثنا هذا هو مدح الرسول(ص).
ومدار المدح فى القصيدة ثلاثة أمور، أولها البر وعمل النبى له ونجاحه فى الدعوة إليه
وجمع الناس عليه بعد أن تفرقوا فيه، وذلوا عن سوائه بعد المسيح عليه السلام والتالى
لمحات سريعة عن بيان الرسول وأثره فى الهدى إلى الله وعن جهاده فى أداء الرسالة
والتمكين لها واعلاء كلمتها، ثم عن فضله على الأعقاب من بعد، إذا هداهم الطريق الأرشد
إلى المجد وعلمهم كيف تكون الأمرة على العالمين. يقول:

وأرسل عائلاً منكم يتيماً
دنا من ذى الجلال فكان قابا
نبىُّ البرِّ، بيّنهُ سبيلاً
وسنَّ خِلاله وهدى الشّعابا
(شوقي، ١٩٩٥: ١ / ٩٨-٩٩)

يشير شوقى فى هذه الأبيات إلى فقر النبى فى طفولته ويطمه، وفى بيان آخر يقول إنه
كان من الطبقات الضعيفة فى المجتمع العربى آنذاك فارتفع شأنه بنبوته واعتلى حيث

دنا من الله تبارك وتعالى مقدار قوسين أو أدنى؛ وأصبحت سنته السبيل الرشاد الذى فلع من مضى فيه. ثم يشير الشاعر إلى الآثار الحسنة التى تركت نبوته فى المجتمع البشرى حيث أعاد الناس الضالين من سبيل الخير وشافى نفوسهم الأسرى فى أيدي الشياطين وهداهم إلى الحقّ فإزداد عدد من آمن به وبالدين الالهى الاسلامى الذى أتى به كأنهم فى الكثرة أجمة من القصب الملتف أو الشجر المتكاثف فعلمهم كيف يبنون حضارة سامية ويأخذون بأيديهم أمر الأرض.

وكما عودنا شوقى فى مدائحه نراه يعتمد على المأثور القرآنى وفى البيت الاول «عائلاً يتيماً، قاباً» مصدقا لقول الله تعالى: ﴿المريجذك يتيماً فأوى﴾ وقال الله تعالى: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ ونرى الشاعر فى البيت الرابع متأثراً بمذهب المتشائمين، ثم نلاحظ أن الحكم التى ينثرها شوقى هنا وهناك لا تكاد تخلو منها قصيدة إذ يقول:

وما نيل المطالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً
وما استعصى على قوم منالٍ
إذ الإقدام كان لها ركاباً

(شوقى، ١٩٩٥: ١ / ٩٩)

نجد أن شوقى يرى الجرأة والشجاعة والتوسل بالقوى القهرية السبيل إلى نيل المطالب عند الأقوام وهكذا يحثّ الأمم على اتخاذ هذا السبيل لنيل أمنياتهم.

ومما يدور عليه مدح الرسول(ص) إشارة عابرة إلى مولده والبشائر التى لازمته والفضل الذى أسدته أمه الى العالمين، إذ أتت الدنيا به كما تأتى السماء بشهاب جديد فملأ الحجاز أول العهد به نوراً وما زال نوره يسطع.

يقول:

تجلى مولد الهدى وعمّت
بشائر البوادي والقصابا
وأسدت للبرية بنت وهبٍ
يداً بيضاء، طوقت الرقابا

(المصدر نفسه: ١ / ٩٩)

والشاعر يقدم سؤاله بمدح الرسول والشفاعة به عند الله وقد جاوز الشاعر قدره بالجرأة على مدحه؛ ولكن ما منحه الشجاعة فى هذا المدح هو انتسابه للرسول الكريم واتصاله به و أولى دلائل هذا الانتساب والاتصال هى أن الشاعر من أمة النبى محمد(ص)، ثم أنه يدعى الانتساب إلى البلاغة والفصاحة التى هى مشرع من نبع الرسول الفيض ولمكانة

الرسول (ص) من الفصاحة والبلاغة ومن الكرامة والتفضل على غيره من الناس. فإن شوقى حين يمدحه فإنما يرتفع بذلك إلى عليا سماوات الفخر والاعتداد بالنفس، يقول:
أبا الزهراء، قد جاوزتُ قدرى
بمدحك، بيد أن لى انتسابا

(شوقى، ١٩٩٥: ١ / ١٠٠-٩٩)

ثم يصير إلى التوسل، فنراه فيه كما رأيناه فى توسل الهمزية حدباً غيراً على قوميه، يألم لحالهم ويسأل الله فيهم ويتوسل بالنبي إليه أن يبدلهم من النحس سعداً وأن يهديهم سواء السبيل:

سألتُ الله فى أبناء دينى
فإن تكُن الوسيلة لى أجابا

(شوقى، ١٩٩٥: ١ / ١٠٠)

والشاعر فى توسله هنا أدقّ تعبيراً وأبعد فى خطابه من الإيهام والتشكيك، فهو يتوجه إلى الله بالسؤال وإلى النبي بالرغبة أن يكون وسيلته إليه، ليستجيب الدعاء.

نتيجة البحث

فى رأينا يبدو/أحمد شوقى، أنه أخلص لشعره الاخلاص كآله فى مديحه للرسول الكريم (ص) وفى وصفه لأخلاقه وأفعاله بصورة لم يسبقه إليها شاعر، ومرجع ذلك التميز فى قصائده النبوية: ما امتلأ به قلبه من الايمان، ومن العالمية فى الأديان، وفى حق كل مخلوق فى التمتع بما خلق الله. وحاول أن يجدد وأن ينقل الأصيل إلى روح العصر ونجح ضمن ظروفه وبيئته.

فإن فى شعر أحمد شوقى أكثر من شاهد يدل على ولائه للعقيدة الاسلامية بأوضح صورها وأتم معالمها، ممّا لا يدع مجالاً للشك فى اخلاص الشاعر تجاه دينه ومعتقده الذى حرص على أدائه بأكمل ما يمكن من وجوه الدقة والكمال. بل ومن العجيب أنه نظم كل قصائده الدينية ومن بينها «البردة» وهو فى ظلّ شبابه يلهو ويعبث ويختلف إلى ملاعب اللهو، إلا أن قصائد شوقى الدينية لم تكن تمليها عليه المناسبات كما كان يفعل الكثير من الشعراء وإنما دافعه إلى ذلك النوع من النظم هو حبّ الكبير فى الحلاوة فى القرب من الله والمرارة فى البعد عن رضاه وأن صراط الله المستقيم ودرب الحق العظيم يبقى

فى خاطره أملا لا تطفئه رباح الشك والحيرة والضلال، هكذا يبدو فى قصيدة «نهج البردة».

المصادر والمراجع

- ابوحاقة، احمد. ١٩٧٩م، **الإلتزام فى الشعر العربى**، بيروت: دار العلم للملايين.
- بوصيرى، محمد بن سعيد. ١٩٥٥م، **ديوان**، تحقيق محمد سعيد كيلانى، مصر: مكتبة مصطفى البابى الحلبى.
- الحر، عبدالمجيد. ١٩٩٢م، **أحمد شوقى أمير الشعراء ونغم اللحن والغناء**، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الحوفى، احمد. ١٩٦٧م، **الاتجاه الروحى فى شعر الشوقى**، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العليا.
- الحوفى، احمد. ١٩٧٢م، **الاسلام فى شعر شوقى**، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية.
- سابايارد، نازك. ١٩٦٨م، **احمد شوقى لحن المجتمع والوطن**، بيروت: بيت الحكمة.
- شوقى، احمد. ١٩٦١م، **الشوقيات**، تحقيق محمد صبرى، ٢ ج، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- شوقى، احمد. ١٩٩٥م، **ديوان**، تحقيق اميل. ا. كبا، بيروت: دار الجيل.
- ضيف، شوقى. لا تا، **الأدب العربى المعاصر فى مصر**، القاهرة: دار المعارف- مكتبة الدراسات الادبية.
- فهيمى، ماهر حسن. ١٩٨٨م، **أحمد شوقى**، بيروت: دار الجيل.
- فهيمى، ماهر حسن. لا تا، **شوقى شعره الاسلامى**، مصر: دار المعارف.
- محفوظ، احمد. لا تا، **حياة شوقى**، القاهرة، لا مط.
- مرزوق، حلمى على. ١٩٦٩م، **شوقى شاعر العصر الحديث**، القاهرة: دار المعارف.
- مرزوق، حلمى على. ١٩٧٩م، **شوقى وقضايا العصر والحضارة**، بيروت: دار النهضة العربية.